إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره،

ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا،

من يهد الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

وبعد،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالي، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

الفصل الثاني

توحيد الألوهية

تكلمنا في الفصل السابق عن توحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله أي اعتقاد أن الله عز وجل متفرد بالخلق والرزق والتدبير والإيحاء والإماتة والضر والنفع، وأنه متفرد بالمِلك والمُلك التام وأن سبحانه وتعالى منفرد بالأمر والنهي والسيادة والتشريع.

وتكلمنا عن نواقض هذا النوع من أنواع التوحيد الذي هو شرك الربوبية.

والفصل الثاني هو من أهم الفصول وهو توحيد الألوهية.

يقول المصنف:

الألوهية مشتقة من اسم (الإله) –أي المعبود المطاع– فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة،

فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب،

وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص،

ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له سبحانه وتعالى،

فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشاركه في ذلك أحد،

وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يُشرِك معه في عبادته أحد.

توحيد الألوهية مأخوذ من اسم الإله وهو من الأسماء الحسنى،

والحقيقة أيضًا أن اسم الله عز وجل مأخوذ أصله الإله وحُذفت الهمز وعُوّض عنها باللام فصارت الله.

فما معنى الإله؟

الإله في اللغة: ابن منظور في لسان العرب يقول: الإله مادة "أله" الهمز والهاء واللام : هو الله سبحانه وتعالى وكل من عبد شيئا من دون الله فهو عند عابده إله، والإلهة هي الأصنام لأنها عندهم تستحق العبادة، ليس أنها آله في نفس الأمر.

إذن أول معاني إله في اللغة عند العرب استعملوها بمعنى المعبود،
إذن مشركي مكة ومشركي العرب كانوا يتعاملوا مع الأصنام ويسمونها آلهة لأنهم كانوا يعبدونها.

المعنى الثاني من معاني إله: أنه مأخوذ من قول العرب (أله يألهُ) بسكون اللام، (كفرح يفرح)، أَلْه أي تحيّر، إذا تحيّرت في شيء يقال فلان أله فيه أي تحيّر فيه.

والمعنى الثالث: معنى الفزع، "ألِهت إليك عند الشدائد" أي فزعت إليك عند الشدائد.

ومعنى رابع: وهو معنى التعلق وشدة الخضوع وشدة التعلق كما يقال (ألِه الصبي بأمه) مأخوذه من "ولِه" أي كلف بها كلفًا شديدًا وأحبها حبًا شديدًا وتعلق بها تعلقًا شديدًا.

معنى خامس: أن ألِه يعني جزع، أي أصابه الجزع.

فما المعاني التي تنطبق أو يصح أن تكون في حق الله عز وجل؟

أول معنى إله بمعنى معبود وهذا الله عز وجل هو وحده المعبود بحق سبحانه وتعالى، معبود فقط حقٌ ظاهرًا وباطنًا،

ظاهرًا أي ظاهر الاسم اسمه إله معبود وهو في الحق أيضًا يستحق العبادة وهو الله سبحانه وتعالى.

أما عن غيره قال عز وجل عنهم { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } [يوسف:٤٠]

لماذا هذه الآية؟

فعندما يأتي المشرك إلى الصنم أو أي وثن وهو أعم من الصنم،

فالوثن يشمل التماثيل ويشمل الأشجار والأحجار والشمس فالوثن أعم،

فعندما يعبده المشرك نقول له أنت سميت هذا الوثن إله وتعبده!!

فالله يقول له { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً}،

فهو اسمه إله فقط لكن ليس في حقيقته إله،

لذلك يقول تعالى في كتابه {وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} [الفرقان:٣]

فلماذا تعبدونهم!!

{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا}

[مريم:٤٢]

إذن العجز المطبق الذي هم فيه لا يستحقون الإلهية إنما الأسماء فقط،

{أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ} [الرعد:٣٣].

يعني أن تنبئون الله أن هناك آلهة بما لا يعلم في الأرض!!

لا يوجد آلهة غير الله سبحانه وتعالى فأنتم تأتون بشيء لا يعرفه،

{ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ} أي { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا}،

فهم اسم فقط، وهذا يدلك على أن العبرة ليست بالأسماء إنما العبرة بالحقائق والمعاني.

المعنى الثاني من معاني الأله (ألِه يأله) أي تحيّر، والله عز وجل هو الذي تحتار فيه العقول،

قال عز وجل ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]،

لن تستطيع الإحاطة علمًا بالله سبحانه وتعالى، هو أكبر من كل شيء سبحانه وتعالى تحتار فيه العقول، لا تدركه الأفهام ولا تبلغه الأوهام سبحانه وتعالى،

فتحتار فيه وتحتار في كيفية الصفات،

هل الصفات لها كيفية؟

نعم لها كيفية، كيف؟

الله أعلم.

إذن من معاني الإله أي الذي تحار فيه العقول والله سبحانه وتعالى الذي تحار فيه العقول، ولا يمكن أن يحيط عقل به سبحانه وتعالى، كما قال ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] سبحانه وتعالى.

ألِه أي فزع (ألِهت إليك عند الشدائد) أي فزعت إليك عند الشدائد، والله عز وجل هو المفزع والملجأ وهو الملاذ الذي يقصده كل مفزوع وكل خائف سبحانه وتعالى، فهو أمان الخائفين وسبحانه وتعالى هو أمل لكل أصحاب الرجاء.

إذن ألِه بمعنى فزع أن الله سبحانه وتعالى إله بمعنى أنه هو الذي إليه المفزع

والملجأ سبحانه وتعالى.

وإله من ولِه كما يقال (ولِه الصبي بأمه) فالله عز وجل هو الإله بمعنى يولِه الخلق به يتعلقون به يميلون إليه،

وذكرنا في المرة السابقة {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} [الروم: ٣٠]،

حَنِيفًا : أي الميل إلى الله والإعراض عن غيره والتعلق به سبحانه وتعالى، فهو الذي تألهه القلوب محبة وشوقًا ورجاءا.

المعنى الأخير: ألِه أي جزع.. فالله سبحانه وتعالى هو الإله يعني إذا فاتك أصابك الجزع إصابة شديدة.

وفاتك: أي من فقد الله فقد أصابه الجزع لأن من فقد الله فما انتفع بشيء،

ماذا تعني أن تفقد الله؟

تفقد علاقتك بالله سبحانه وتعالى وتأييده وتوفيقه والاستقامة على منهجه سبحانه وتعالى، لو حصّلت كل شيء بعد ذلك لن تستفاد شيء، يصيبك الجزع فمن وجد الله فما فقد شيء، ومن فقد الله فما وجد شيء.

إذن هذا اسم الله في اللغة وهذه هي المعاني العربية لهذا الاسم العظيم،

والصفة هي الألوهية وكل اسم من أسماء الله وسيأتي معنا التفاصيل بعد ذلك،

كل اسم يشتمل على صفة.

الإله يشتمل على صفة تسمى الألوهية ويقال أيضًا الأُلهانية ويقال أيضًا الإلهية،

ما هي هذه الصفة؟

هي صفة استحقاقه وحده للعبادة.

فمعنى صفة الألوهية يعني من يتصف بهذه الصفة يستحق العبادة سبحانه وتعالى.

هو هنا في هذه الفقرة يقول:

فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد.

وهو توحيد الربوبية؛ طالما أنه لم يشترك معه أحد في الخلق والإيجاد والبعث والنشور والرزق والتدبير كذلك لا يشترك معه أحد في العبادة.

إذن طالما هو يخلق وحده إذن يُعبد وحده سبحانه وتعالى.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة،

ونحن قلنا أن كلمة التوحيد معناه مصدر للفعل وحّد وهذه المادة مأخوذة من وحَدَ، وهي التفرّد وانقطاع المثل والنظير.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة،

وذلك بأن يعلم العبد علم اليقين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة.

إذن أنت كأنك تسأل نفسك هذا السؤال، كيف أكون موحدًا توحيد الألوهية؟

أولاً الاعتقاد: أن تعتقد أن الله وحده هو المألوه المعبود عن الحقيقة،

وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودةً في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله سبحانه وتعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا – ندخل في المرحلة الثانية التي تحقق فيها توحيد العبادة – أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة.

الظاهرة وهي التي بالجوارح، والباطنة بالقلب.

فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج،

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

توحيد الألوهية له عدة أسماء استعملها أهل العلم في التصنيف والتأليف فبعضهم يسميه توحيد الألوهية، ومنهم من يسميه توحيد العبادة، وبعضهم يقول توحيد الإرادة، وبعضهم يقول عليه توحيد القصد، وبعضهم يقول عليه التوحيد الطلبي، وبعضهم يقول عليه التوحيد العملي، كلها أسماء لهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول

* أدلة توحيد الألوهية وبيان أهميته*

المطلب الأول

أدلته

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

أولاً: تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]،

وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

إذن يأتي الأمر المباشر {وَاعْبُدُوا اللَّهَ} أي أفردوه بالعبادة،

اخضعوا له وذلوا له.

اعبدوا وحدها هل تتضمن التوحيد؟

باللفظ لا تتضمنها، ولكن ورد في الشرع ما يفيد بأن من عبد مع الله غيره فقد

أشرك ولم يحقق عبادة الله، ما الدليل؟

حديث معاذ في البخاري وسيأتي معنا عندما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن،

فقال له "إنك تَقدُمُ على قومٍ أهلِ كتابٍ، فليكُنْ أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ اللهِ"

الراوي: عبدالله بن عباس المحدث: البخاري – المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم: ١٤٥٨ خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

فالنصارى أليسوا كانوا يعبدوا الله ولكن يعبدوا الله بالتصور الخاطىء لديهم

والفاسد فيعبدوا معه المسيح أو الروح القدس،

أو يعتقدوا العقيدة المركبة لديهم، إذن من لم يوحّد الله لم يعبده،

من لم يأت بالتوحيد لم يأت بالعبادة،

فليس المقصود مجرد ممارسة الطقوس التعبّدية لله سبحانه وتعالى أو العبادات المحضة وهي الشعائر!!

لا، المقصود ممارسة العبادة لله وحده،

ولمنع هذا الالتباس ولمزيد من التقرير يأتي القرآن في غير موضع للأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، بل قدّم النهي عن الشرك وتحقيق هذا الأمر في قوله عز وجل: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا} [البقرة:٢٥٦]،

إذن الأول الكفر بالطاغوت ليصح الإيمان بالله.

إذن أول نوع من الأدلة -وهم ليسوا دليل واحد- فهذا نوع من الأدلة يسمى الأمر بالتوحيد أو الأمر بالعبادة، نوع من الأدلة يشمل عدة أدلة.

ثانيًا: وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فيها عدة تفسيرات، فمن تفسير ابن عباس لهذه الآية {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي إلا

ليوحدون، فمن لم يوحد الله لم يعبده حق العبادة.

وهذه إجابة على أحد الأسئلة الفطرية التي يسألها كل إنسان لنفسه ومن عدّها بعض العلماء مثل الدكتور عبد الكريم زيدان في كتاب أصول الدعوة أنها تعريف الإسلام والإجابة على هذه الأسئلة الفطرية،

أين كنت قبل أن أُوجد في هذه الدنيا،

ولماذا أتيت إلى هذه الدنيا؟

وإلى أين المصير؟

أي إلى أين أنا ذاهب، هذه الأسئلة الفطرية بعض الناس أجاب عليها بطريقة فلسفية وهي المزج بين الفلاسفة وغيرهم الذين ليس عندهم ارتباط بالوحي ولا تعظيم لوحي، وبعض العقائد الأخرى أو الأديان الأخرى التي حدث فيها نوع من الانحراف مثل اليهود والنصارى حاولوا الإجابة على هذه الأسئلة، ولكن أوضح الإجابات هي لديك في هذا الكتاب ولله الحمد والمنة، فمثلاً عندما تنظر إلى السماء بكامل حجمها وكل بديع الصنع الذي فيها

والخلق المتقن الذي فيها هذا الله سبحانه وتعالى أكبر منها،

لأنه هو من خلقها سبحانه وتعالى بكامل عظمته وكامل قدرته وقوته،

فلماذا خلقني أنا العبد الضعيف؟

أسأل نفسي هذا السؤال، وللعلم هذه هي بداية التفكّر، لذلك هناك آيات كثيرة في القرآن تدعو إلى هذا التدبر،

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}

[آل عمران: ١٩٠]،

أي واحد لديه عقل يقف مع نفسه ليل ونهار سماء أرض كل هذه المخلوقات لماذا؟

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}

[آل عمران: ١٩١]

لماذا يقول له سُبْحَانَكَ؟

لأن العقل يقول هذا، العقل يقول أن الله لم يخلق كل هذا عبث،

سُبْحَانَكَ أي تنزيه عنك أن تكون فعلت ذلك عبثًا،

فيقول {سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، كأن العقل يقول يجب عليّ كإنسان أن أؤمن بأن أكيد هناك حساب إجمالاً دون تفصيل،

سبحانك أن تكون خلقت هذا عبثًا،

وطالما لم تخلقه عبثًا إذن خلقته لحِكْمة {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}،

إذن التدبر في هذا المعنى.

إذن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لم يتركك لستنتج الموضوع ليس مطروح للأراء والنظريات أو الأفكار،

لا.. هو كانت إجابة مباشرة جداً، أنا خُلقت للعبادة،

وسيأتي معنا فصل كامل في العبادة والتي هي وظيفة الإنسان،

وظيفة العمر من بطن الأم إلى بطن الأرض،

الإنسان سيولد ويأخذ فترة حتى يكتمل نموه ويكتمل أن يكون محِل للتكليف،

وعندما يصبح مكّلف شغلته العبودية حتى يموت،

فحري به أن يعلم هذه الوظيفة وما هي تفاصيلها وما هي شروطها وغير هذا.

ثالثًا: ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أيّ أمة لابد أن يأتي إليها نذير ورسول ويذكر لهم هذا الأمر "أن اعبدوا الله ما لم من إله غيره".

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

رابعًا: ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

إذن الملائكة تنزل بالروح أي بالوحي والوحي يسمى روح لأن فيه حياة القلوب، كما أن الروح تحيا بها الأبدان،

فلو هذا البدن فارقته الروح يموت، ولا يلبث أن يتحلل ويتعفّن،

كذلك القلب فالإنسان بدون وحي كالجسد بلا روح.

{ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ} –وحي من أمر الله عز وجل–{عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}.

خامسًا: وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة ونِعَم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢].

هذه السورة من السور المكيّة، الآية فيها معنى هام

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} أي لم يخلطوا { إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} الصحابة عندما سمعوا هذه الآية فزعوا،

كان في حديث ابن مسعود في الصحيح قالوا:

" يا رسولَ اللهِ ، أيُّنا لا يظلمُ نفسَهُ ؟ "

فمن منا من لم يظلم نفسه بنظرة محرمة أو كلمة محرمة أو بتفويت واجب أو بفعل محرم أيًا كان؟!!

فهذا ظلم فقد ظلم نفسه لأنه تعدّى على الآخرين،

فأكيد أن منا من يظلم نفسه أو الإنسان عندما يفعل شيء محرم أو يضيع واجب يقال عنه أنه ظلم نفسه لأنه عرضّها للعقوبة.

قال ﷺ: ليس كما تقولونَ { لَمْ يَلْبِسُوْا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } بشِرْكٍ ، أَوَ لم تسمعوا إلى قولِ لقمانَ لابنِهِ : { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }"

الراوي: عبدالله بن مسعود المحدث: البخاري – المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم: ٣٣٦٠ خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

إذن أعظم ظلم يظلمه الإنسان لنفسه هو الشرك؛ لأنه يعرضّها لعقوبة لن يخرج منها أبداً،

{ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنصَارٍ} [المائدة:٧٢]،

عقوبة لن يخرج منها مرة أخرى، فليس لها استدراك،

{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [هود:١٠٧]

والاستثناء مقصود به عصاة الموحّدين يدخلوا النار ويخرجوا بعد فترة،

أما من مات على الكفر والشرك والعياذ بالله فكما قال سبحانه وتعالى: { لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا } [النبأ :٢٣]،

أعمار متطاولة ماكثين لابثين والعياذ بالله،

{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف:٧٧].

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك،

وجاءت نكرة في سياق النفي،

وإن شاء الله في الأصول سنعرف أن ذكر النكرة في سياق النفي يفيد العموم

وهذه من صيغ العموم النكرة في سياق النفي،

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}

فالظلم هو الشرك وأي شرك والشرك نوعين وهي تقسيمة شرعية:

شرك أكبر

شرك أصغر

الإنسان الذي يقابل الله عز وجل دون شرك { أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}،

وذلك في الدنيا والآخرة،

فالأمن في الدنيا ولكن عامة أهل الدين يطاردوا!!

وفي عامة حياتهم يتسلط عليهم الظالمون،

فأي أمن نالوه في الدنيا!!

أقول لك الأمن هو أمن الأرواح والقلوب،

فأنت تسمع إنسان من أثرى أثرياء العالم وينتحر!!

والآن أصبحوا يصوروا حالات الانتحار وتكون شيء مؤثر جداً،

فهناك رجل كان مليونير كبير في انجلترا وقرر أن ينهي حياته، وصوروه وهو ينهي حياته ويأخذ دواء معين،

وفي بداية الفيديو يقول كلمتين أنا فلان الفلاني وقررت أن أنهي حياتي!!

ويموت وتراه وهو يموت!!

سبحان الله!!

وتجد آخر في "جوانتانمو" أسير في هذا المعتقل الرهيب ومع ذلك يدعو إلى الله ويكون سبب في أن سجانه يُسلم!!

إذن الأمن هو أمن القلوب وأمن الأرواح، هذه هي حقيقة الأمن.

{أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}

انظر إلى الفرقة والاختلاف وانتشار الضلال والعقائد الزائفة وحال الفتن والاضطراب والقلاقل إن الإنسان يُرزق نعمة أنه يهتدي أي يمشي على الطريق الصحيح ...نقول هذا في الدنيا.

وفي الآخرة {أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} أي الأمن من الفزع الأكبر، كما قال عز وجل: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء:١٠٣]

الأمن فالصحف تتطاير ودعوة الأنبياء يومئذ " اللهم سلم سلم"،

وكرب شديد ووضع شديد ومع ذلك {أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ} فهذه من نعم الله، إذن لهم الأمن يوم القيامة فيأمنوا من الفزع الأكبر ويأمنوا من دخول النار وهم مهتدون كما قال عز وجل: {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} [محمد:٦]، كل شخص يهتدي إلى طريق الجنة نسأل الله رب العالمين أن يرزقنا الأمن والهدى في الدنيا والآخرة.

ولاحظ أن هناك علاقة ارتباط عكسي ما بين الأمن والهدى وما بين الشرك؛ فمثلا لو أحد أتى بالشرك الكامل والشرك الأكبر إذن يكون الأمن والهدى عنده زوال كامل إذن تكون بنسبة "صفر" في الآخرة، وفي الدنيا بالمعنى الذي قلناه.

وإذا واحد حقق التوحيد الكامل يعني نسبة الشرك عنده صفر سيكون نسبة الأمن والاهتداء عنده مائة بالمائة.

هذا هو المعنى الذي قاله ابن تيمية ولكنه لم يقل النِسَب، قال: "من أتى مُطْلق الشرك زال عنه مُطْلق الأمن"

الشرك المطلق هو الشرك بنسبة مائة بالمائة، زال عنه مطلق الأمن وهو الحد

الأدنى والعكس.

سادساً: وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته،

وذِكْر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى:

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]،

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]،

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

-إذن هذه جملة من الأدلة من القرآن-

ومن السنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ "يا معاذُ ، أتدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ . قال : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، قال :

أن يعبدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا ، أتدري ما حقُّهم عليه . قال : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، قال : أن لا يُعذِّبَهُمْ"

الراوي: معاذ بن جبل المحدث: البخاري – المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم: ٧٣٧٣ خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

" اللهُ ورسولُه أعلمُ"

انظر إلى الأدب الذي نفتقر إليه فلا يوجد مبادرة إلى الإجابة، قِف في مقام التعلم وستتعلم.

" أن يعبدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا" حق الله على العباد هو تحقيق التوحيد.

إذن من أتى بالتوحيد ولم يشرك جنَّبه الله العذاب، ومن أتى الله بالتوحيد الكامل أمِن أمنًا كاملاً،

وإن تخلص من الشرك الكامل لكن لم يتخلص من مطلق الشرك وهو الشرك الأصغر فهو في المشيئة إن شاء الله عز وجل أدخله الجنة وإن شاء آخذه بالعقوبة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال له:

إنك تَقْدُمُ على قومٍ مِن أهلِ الكتابِ ، فلْيَكُنْ أولَ ما تدعوهم إلى أن يُوَحِّدوا اللهَ تعالى ، فإذا عَرَفوا ذلك ، فأَخْبِرْهم أن اللهَ فرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ

الراوي: عبدالله بن عباس المحدث: البخاري – المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم: ٧٣٧٢ خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

والحديث له فوائد كثيرة ولكن سنقف هنا مع شيء بسيط

أولاً:" فلْيَكُنْ أولَ ما تدعوهم إلى أن يُوَحِّدوا"،

إذن أهم واجب على المكلف وأول واجب على المكلف هو توحيد الله عز وجل.

الشيء الآخر: الحجة تقوم بخبر الواحد؛ هؤلاء بلد كاملة تسمى اليمن سيذهب إليها واحد من عند النبي ﷺ يقول لهم أني مبعوث إليكم من عند رسول الله

ﷺ ويأمرهم بالتوحيد وتقوم عليهم الحجة بذلك.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" مَن مات وهو يدعو مِن دونِ اللهِ نِدًّا دخَل النارَ"

الراوي: عبدالله بن مسعود المحدث: البخاري – المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم: ٤٤٩٧ خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

أي اتخذ من دون الله ند مساوي لله يصرف إليه العبادة دخل النار.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" من لقِي اللهَ لا يشركُ به شيئًا دخل الجنَّةَ ، ومن لقِيه يشركُ به دخل النَّارَ"

الراوي: جابر بن عبدالله المحدث: مسلم – المصدر: صحيح مسلم – الصفحة أو الرقم: ٩٣

خلاصة حكم المحدث: صحيح

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني

بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

أي بيان أهمية هذا النوع من التوحيد وبيان أنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها، وأفضلها، وألزمها لصلاح الإنسانية وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم،

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]،

وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة على أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى:

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]،

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

الأخوة هنا أخوة نسب هم قومه، وهو منهم، وهذه تثبت ولا يترتب عليها المدح، وهناك نوع آخر من الأخوة وهي أخوة الأيمان،

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠]،

{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ}

[البقرة:١٧٨]،

وهذه يثبت بها المدح.

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وهكذا ما من نبي أُرسل إلى قومه إلا صد دعوتهم بهذه الحقيقة الناصعة، وبهذا الأمر الواضح { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.

لا يوجد إله آخر سوى الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث

بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم

لماذا الأمم تتواصى بمعاداة الأنبياء؛ كما قال عز وجل في سورة الذاريات بعد

أن ذكر ما حدث من قوم إبراهيم ومن فرعون مع موسى، وعاد وثمود وما حدث مع نوحٍ وفي الآخر قال تعالى: {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات: ٥٣]،

أَتَوَاصَوْا بِهِ أي يوصوا بعضهم كل أمة توصي بعضها البعض،

بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ هذا أسلوب بلاغة يسمى الإضرام،

يضرم عن أمر ثم يُدخلك في الإجابة،

فهم قوم طاغون هناك طغيان، ما الذي يجعل الأمم تعادي الرسل،

هناك قضية محورية تأتي بالمشاكل بينهم وبين بعض وهي توحيد الألوهية،

لأن الألوهية قلنا معناها وسيأتي معناها في العبادة، والعبادة تعني الخصوع والذل والانكسار لله سبحانه وتعالى،

فأنت تجردّه من كل المظاهر التي هو فيها وتقول له اصرف هذا لله فقط،

ولذلك أول من يتصدى للرسل هم الملأ،

والملأ تعريفهم هم الذين يملؤن النفس هيبة وإجلالا أي الوجهات الملأ هم باللغة المعاصرة هم علية القوم،

ناس أصحاب التأثير والنفوذ في المجتمع هم في الواقع أول من يعارض

الأنبياء؛ لأن دعوة الأنبياء قائمة على الانكسار لله عز وجل والعبودية لله سبحانه وتعالى،

فتجردك من صلاحيات كثيرة كنت تأخذها،

لذلك مشركي مكة كانوا يفهمون معنى لا إله إلا الله جيداً،

فكان يقال لهم قولوا هذا الكلمة، فمن الممكن أن يريحوه ويقولونها بدلاً من المشاكل التي كانوا فيها،

لا، هم يدركون أن هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله سيترتب عليها أمور أخرى،

لذلك في سورة ص قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥]، هو يريد أن يجعل الآلهة التي نعبدها كلها إله واحد فقط!!

{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص:٥-٦] هذا هو المحك،

يعني ليس فقط يشرك بالله بل ينطلق ويدعو إلى الضلال بل وإلى الثبات عليه،

{ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} والباطل يحتاج صبر حتى يستمر،

فعجب من صبر أهل الباطل وقلة صبر أهل الحق!!

كما قال عز وجل: { إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ} [النساء: ١٠٤]،

فهناك محور في الخصومة بين الرسل والأمم،

الجزء العقلي الذي تحدثنا فيه المرة السابقة أن عامة الخلق لا يُنكر أن الله خلق، ولا يوجد لديه مشكلة بالاعتراف بذلك،

حتى من يخالف في تسمية الله مثل المجوس أو غيرهم عنده أن هناك قوة خارقة قاهرة خلقت، وأتى بها الخلق أيًا كانت تسميتها،

المشكلة كلها في الخضوع والانقياد والاستسلام.

يقول:

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم،

فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله،

ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك،

فالأنبياء يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له،

-إخلاص العبادة أي تخليصها من أي شائبة إلا الله عز وجل-

والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام:

﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولَا تَذَرُنَّ وَدًّا ولَا سُوَاعًا ولَا يَغُوثَ وَيعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ولَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٣-٢٤].

إذن قوم نوح أول من ظهر فيهم الشرك،

وكان بين نوح عليه السلام وبين آدم عشر قرون كلهم على الفطرة كما في الصحيح.

{ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} أي لا تتركوا آلهتكم.

{ ولَا تَذَرُنَّ وَدًّا ولَا سُوَاعًا ولَا يَغُوثَ وَيعُوقَ وَنَسْرًا} أسماء المعبودات التي اتخذوها من دون الله، وهؤلاء كانوا أسماء لرجال صالحين حتى إذا هلكوا عمد الشيطان إليهم وقال " انصبوا أصناما لهم أي تماثيل يذكرونكم بجِدِّهم"،

ولابد أن نركز هنا أن لا يوجد باطل محض بنسبة ١٠٠% أيّ باطل لابد أن يُغلَّف بشيء من الحق حتى يُبلع،

مثل الدواء المر جدًا يقوموا بعمل غلاف مسكّر له،

والدواء الفعّال مُر جدًا وأنت تريد أن تبلعه،

أحيانًا تجد حبات حمراء كبيرة هذا كله غلاف من السكر يضعه داخله حتى تبلعه، فالباطل كذلك،

الشيطان إذا قال لهم من البداية أشركوا لن يشركوا، فماذا يفعل؟

يقول لهم أليسوا هؤلاء قوم صالحين "ود ويغوث ويعوق ونسر وسواع"،

نعم هؤلاء كانوا قوم صالحين أليس التأثر بالصالحين يبعث الهمة والنشاط والعزم بعد أن يفتر؟

نعم، انظر إلى الحق وإلى الشيطان ماذا يفعل!!

وبعد ذلك يأخذهم رويداً، لذلك قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [النور: ٢١]،

فتكون خطوة خطوة، وبعد هذه الخطوة يقول نبني لهم تماثيل ونضعها حتى

عندما تضعف همتنا ننظر إلى هذه التماثيل ننشط من جديد،

الجيل الذي يعلم هذه القصة مات، وبدأ يندثر العلم ويقل التدين ويقل التعلم،

فأتت أجيال أخرى قال لهم أتدرون من هؤلاء؟

فلا يقول لهم هؤلاء هم من خلقوا السماء والأرض،ولكن يقول لهم هؤلاء هم المعبودات والآلهة التي كان يعبدها أباؤكم وسنة الأباء هذه وقع بها شطر الكفر في الأرض، أي أنها جزء كبير من الكفر،

{إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } [الزخرف:٢٣]،

إذا يقول لهم هؤلاء هم من كان يعبد آباؤكم،

ولكن هو فقط أزال العبارة التي تقول كانوا تقربهم على العبادة،

فعدّل تعديل بسيط فوقع هؤلاء في الشرك،

المشكلة هي أنهم بعد أن وقعوا في هذا الشرك تقليداً وجهلاً وزيغاً وانحرافًا،

عندما يأتي لهم دعوة الرسل مثل نوح عليه السلام فيبدأ في دعوتهم فيلتزموا بالتمسك الشديد بالباطل!!

كما يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد وفيه من

ضمن الفوائد: ولع النفوس بالباطل وتعلق النفوس بشدة بالباطل!!

سبحان الله، وقاوموا نوح عليه السلام مقاومة شديدة،

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً}

[العنكبوت: ١٤]،

يدعوهم، فقال عز وجل عنهم {وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود: ٤٠]،

سبحان الله!!

هذه دروس لمن يدرس القرآن والعقيدة بهذه الطريقة يعيش في هذه الحياة لا يتزلزل، الدنيا تتهدم فوق رأسه وهو يرى الدنيا جيدًا، المفاهيم معه ثابته، فيتألم نعم لكنه لا يضطرب،

هناك فرق بين أن تتألم أي يصيبك الأسى والألم والحزن مما يحدث، لكنك لا تضطرب لا تسأل نفسك السؤال الذي يسأله كثير من الأخوة

" والله لم نعد نعلم أين الصواب وأين الخطأ!!"

إياك أن تسأل هذا السؤال، لأننا لو وصلنا لمرحلة لا نعلم فيها الصواب من الخطأ في هذه الحالة يكون ربنا ظلمنا –وحاشاه سبحانه وتعالى–.

لابد أن نعلم أين الخطأ وأين الصواب،

ولكن الصواب أصبح صعب جدًا أو ناس كثير جداً ليست متماشية معه وهكذا.

يقول تعالى: { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا}،

وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢]،

قال ابن كثير "تأفكنا" هنا أي تصدنا،

فيقولوا أجئت لكي تمنعنا وتصدّنا عن عبادة الآلهة!!

ما هي الآلهة!!! وما الذي في عبادة الآلهة!!

انظر إلى الشيطان عندما ينزغ الإنسان ويعمل له قضية من لا شيء!!،

مع أننا اتفقنا في المرة السابقة بعد آية الميثاق أن هناك أثر هذا الميثاق في نفس كل إنسان فطرة ميل للتوحيد، وإن فطرته انحرفت الرسل تأتي معها آيات بيّنات تعدّل له هذه الانحرافات وتوضح له الحق مرة أخرى،

لا تعجبن ممن هلك كيف هلك *** ولكن العجب ممن نجى كيف نجى

رب العالمين يرزقنا وإياكم السداد والقول العمد.

﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

{مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ} إذن المشكلة في البينة مع أنه صح عن النبي ﷺ أنه قال:

"ما من نبي إلا قد أوتي مما آمن على مثله البشر"

أي نبي يُبعث يكون معه آية يؤمن على مثلها البشر،

{ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ} أي أنهم ليسوا بمقتنعين به.

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾

[هود: ٦٢].

انظر {آبَاؤُنَا} يعني هو تقليد.

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾

[هود: ٨٧]

أنت يا من تزعم أنك حليم رشيد وكأن فيها تأنيب،

وقيل له تهكّما، فأنت كنت طول عمرك حليم رشيد قبل أن تقول هذا الكلام،

أنتم تعلمون أن سيدنا شعيب يسمّى خطيب الأنبياء.

وقال عن كفار قريش: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ [ص: ٤-٧].

{الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ} هي النصرانية، فيقول أن النصارى لا تقول ما تقولونه،

{ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} فما تقولونه هو اختراعات!!

{ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا * أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا *أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا }

[الفرقان: ٤١–٤٤]

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالة أن المعترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال:

"أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ اللهِ ، ويقيموا الصلاةَ ، ويؤتوا الزكاةَ ، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلامِ ، وحسابُهم على اللهِ."

الراوي: عبدالله بن عمر المحدث: البخاري – المصدر: صحيح البخاري – الصفحة أو الرقم: ٢٥ خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

هنا في نقطة ألم يقل الله عز وجل: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة :٢٥٦]؟؟

وهنا الحديث يقول: "أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمدًا رسولُ اللهِ "

لابد أن نجمع الأدلة كلها في الباب الواحد أو في المسألة الواحدة حتى يخرج لنا الحكم،

القتال يكون للأنظمة أو للقوة التي تمنع وصول الهدى للبشر،

وهذه هي رسالتنا التي قالها سيدنا ربعي بن عامر لقائد الفرس "إن الله ابعتثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة"

رسالتنا أن تذهب وتُبلغ الهدى والحق الذي أتى به النبي ﷺ إلى الناس، هذه هي رسالتك.

فأنت ذاهب لتبلغه للناس فجاءت قوة كفرية وقفت أمامك، أمامك معهم ثلاث حلول:

إما أن تدعوهم فإذا آمنوا فيبقوا كما هم حكام البلد،

فإن أَبَوْ اضرب عليهم الجزية وتقول أن الأرض لله ويرزق من يشاء من عباده والأرض لله تُحكم بحكم الله، خلوا بيننا وبين الناس وخلوا بيننا وبين إقامة حكم الله في الناس، فإن أَبَوْ فاستعن بالله وقاتلهم،

والحديث الآخر هو حديث بريد بن حُصين في صحيح مسلم.

إذن بعد أن نزيل الأنظمة الكفرية أو القوة التي تمنعك من تبليغ الهدى للناس فأنت بذلك دخلت البلد، أما عن عموم الناس نقول وقتها { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }،

ويتبين الرشد من الغي عندما يتركوك تبيّن الرشد من الغي للناس.

فهذا معنى مهم، لأن بالإجماع إيمان المُكره لا يصح،

يعني إذا أتيت بنصراني ووقفّته كما يخرجوا ويقولوا أن المسلمين يخطفون البنات ويهددوهم حتى يُسلموا!!

بالإجماع إيمان المُكره لا يصح،

يعني إذا أتيت بنصراني ووضعت مسدس في رأسه وقلت له أتشهد الشهادتين

الآن أو أقتلك!!

فيخاف ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله،

أبهذا أصبح مسلم!!

لا طبعاً، لا يجوز.

أما عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة فلا يقاتل عليه ابتداءاً، إنما يُقاتل عليها إذا دخل في الإسلام ورفض التزامها،

مثل في عهد الصحابة بعدما مات النبي ﷺ طائفة من العرب منعت الزكاة، قالت نحن كنّا نعطي الزكاة للنبي ﷺ لأن الله تعالى قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [التوبة:١٠٣].

أنت لماذا ستأخذها !!

فمنعوا الزكاة فقُوتِلوا قتال مانعي الزكاة، وقصتهم مشهورة.

إذن عصمة الدماء تثبت بالشهادتين، واحد يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ترفع السيف عنه.

فعصمة الدم تثبت بالشهادتين، وتستمر بالتزام بكامل الإسلام وعدم الإتيان بما يهدر هذا الدم.

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ قال:

«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله».

الراوي: طارق بن أشيم الأشجعي المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: ٢٣ خلاصة حكم المحدث: صحيح

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم